

المشرق الرقمية



مجلة إلكترونية تصدر مرتين في السنة عن دار المشرق
العدد الثاني. حزيران ٢٠١٣

هل محا النسيان أصول الآداب والتهديب؟

دنيا حشيمه أبي خليل*

لماذا أهملنا الآداب الاجتماعية الحسنة لوقت طويل فتناسينا حقوق الآخرين وأغفلنا الحيطه وما شابهه من تصرفات درج عليها أفراد العائلات ولم تعد دارجة à la Mode اليوم لدى الكثيرين منهم.

أ - نظرة إلى تلك الأصول في العهود الغابرة القريبة.

... نعود بداية إلى عهد القياصرة، أي منذ مئة عام حين أُعطي الأطفال القليل من الحقوق: لقد اعتبرهم الراشدون "صغاراً" يرون ولا يسمعون ويتكلمون ببساطة كاملة... أما الطاعة فكانت سيّدة الموقف:

"ضع يدك فوق الطاولة عندما تأكل!"

"إجلس مستقيماً على كرسيك!"

لقد شدّد المرّبون على تلقين الصغار أصول الآداب والاحتشام والتهديب واللياقة، فردّوا من دون هواده:

* متخصصة بعلم اجتماع التربية.

"ممنوع عليكم هذا التصرف أو ذلك"...

ولم يُسمح لهم بتمضية يوم مريح ومرح خالٍ من الهموم التأديبية الملقنة بصيغة الضمير المجهول "on" ما جعل حياتهم صعبة:

"نحنني احتراماً عندما نلقي التحية على شخصٍ ما!"

"لا نتكلّم عندما نأكل"

"لا تفتح الفتاة رجلها ولا تظهر ركبتيها عندما تجلس!"

هكذا نُظمت الحياة الجماعية في أدق تفاصيلها، وشرع الأهالي خصوصاً والراشدون عموماً يفرضون القواعد الأخلاقية ولا يناقشون أو يستمعون إلى حاجات الأولاد، بل فرضوا عليهم الطاعة العمياء. ولقد ساد حينها الرضا الجماعي عن التصرف السويّ والجيد والمقبول، ما جعل الأهل يسعون جاهدين إلى الحصول على نشءٍ يتحلّى بحسن التربية "Un enfant bien élevé".

أمّا النتيجة فكانت تتسم بالضغط والإكراه اللذين لازما المنحى التربويّ إبّان السنين اللاحقة، ووضع النشء الصاعد في بوتقة محكمة الإقفال، حيث مُنع كلّ تصرف انفراديّ وبورك التكيف والتطابق العملائيّان.

ب - جيل المعجزة الاقتصادية في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية:

إنتهت الحرب وأصبح جيل المعجزة الاقتصادية راشداً، فشرع يقيم المخزون التربويّ التقليديّ الموروث من الآباء والأجداد، فأدرك كثرة الثقل التهذيبيّ على الأولاد، وشكا من الملل والانزعاج من التماثل بالراشدين.

ظهرت في هذه المرحلة خطوات رفضية للنظام المستتبّ على مستوى مختلف الفئات العمرية، من ثلاث سنوات وحتى الثلاثين، فشهدنا في مرحلة نهاية الستينيات، كمّاً من الطلاب الشبان ساعياً إلى التحرّر من Establishment، وإلى تجنب أطفاله توجيه تربويّ يشبه توجيهه، ولقد تزايد عدد الأهالي

الرافضي الإرغام والحصص والممعنين في إلغاء نظم التصرف الصارم، كما أنهم تساءلوا عن جدوى انحناء الأطفال أمام الراشدين في القرن العشرين.

لماذا يتوجب على الرجل مساعدة المرأة بارتداء معطفها في حين تستطيع هي القيام بذلك في إطار التصرف المعروف بالتقدير الذاتي L'autodétermination. تلك التساؤلات أدت إلى محور الآداب الاجتماعية الحسنة Les bonnes manières وإلى التخلص من جميع القواعد الزائدة وغير الصالحة للاستعمال، وقد أصبح الشعار حينها: "يُعيَّر بصغر العقل كل إنسان يتصرف حسب أصول الآداب الحسنة".

رُفع هذا الردم منذ نهاية سنة ١٩٦٠ وحتى السبعينيات من القرن العشرين، حيث اضمحلت القيم المؤسسة ذات الأولوية في المجال التربوي، نخص منها: الإخلاص، والدقة، والخدمة، والتهديب والتأديب...

تلك القيم اعتبرت عائقاً وطيداً للحرية ولقوة الفضائل، فحلت مكانها أهداف دُعيت بتحقيق الفردية، والأصالة، والقدرة على فرض الذات، ووعي الذات المميزة والفريدة.

ج - جيل نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين:

حلت نهاية هذا القرن مصطحة معها أسئلة حيوية تتعلق بنسبة الأطفال الذين يحترمون القواعد المعترف بها اجتماعياً. نتكلم في هذا السياق على "الموقت" "L'éphémère" المفروض على المجتمعات المتطورة أو التي هي في طور النمو، الساعية في إطار التغييرات التقنية إلى التأقلم البشري المناسب، فلقد التصق مكان السكن بمكان العمل وانتقل معه عند انتقاله وتنوعه.

أمام هذا الواقع المستجد، أصبح من الضروريّ التشديد على القدرة على التعلم لدى الأطفال وإعطائهم رشاقة عقلية وفكرية، ومساعدتهم على التأقلم واستيعاب نماذج تقنية ومعلومات جديدة. وهكذا أصبح هدف البرامج التربوية تنمية المرونة العقلية مقارنةً بالمكتسبات الجامدة، كما سادت ضرورة التنبيه إلى

سلبيات المعرفة التكنولوجية وما ينتج عنها من تغييرات، تلك المعرفة المصممة والمدروسة في عالم مختلف عن عالم الطفل المتلقن والمنفذ المفترض، ما يفرض على الموجهين التربويين توجيه هؤلاء إلى التجديد وخلق تغييرات تكنولوجية هادفة إلى سيطرة الطبيعة وراحة الإنسان، أخذة بعين الاعتبار مواهبه الجينية الموروثة وعنصر المساعدة في فرص التعلم.

نستخلص في نهاية بحثنا أنّ التربية تحمل اليوم جزئياً مسؤولية انتقال القيم لأنها تؤمن الاستمرارية الاجتماعية وتجعل جيل الشباب يستفيد من تراكم الخبرة البشرية.

ويظلّ الصراع القائم بين التصرف التقليدي والتصرف التجديدي سيد الموقف في عملية انتقال القيم التربوية المعاصرة.